

أسلوب التمني في شعرنا الشعبي

قصيدة (مطر) للشاعر حسن عبدالله الشريفي نموذجا



حسن الشريفي

محمد عبدالله عصبه /ذمار

باليه والله وربى ما خلق في روح
الاحجر صم وسط السايه

يفظهر الشاعر وقد نفذ صبره انه لم يعد يحتمل العيش بمشاعره الانسانية بعواطفه واحاسيسه ففضل التخلي عنها على يرتاح قليلا. كثيرة هي الاشعار الخالفة بالتمني وخاصة الاماني الغربية التي تعكس حدة المعاناة وصق التجربة ورفاهة الاحساس ولايسعنا المجال لذكرها وتحليلها بصورة تفصيلية غير انه يمكننا ان نقول ان اسلوب التمني قد كان اداة فاعلة لدى كثير من شعرائنا الشعبيين تتكون من خلالها التعبير عن انفعالاتهم وترجمة احساسات متخمة بالحسرة والخيبة الى الاخر وسنحاول التعمق عن ذلك بصورة اكثر دقة من خلال نماذج لاحد الشعراء لنرى كيف استطاع شاعرنا الشعبي ان يجعل من التمني اداة شعرية تمنح نصوصه شيئا كبيرا من الشعرية والابداع وكيف تمكن من تحويل تلك الابدال المتخمة من الموجودات الى معادل موضوعي يجسد معاناته ويوحى بدلالات جديدة تعكس صمد معاناته وعمق تجربته من جهة ونقل البيا صورا من ذلك الواقع الذي عاشه وسيطر عليه من جهة اخرى ولنرى ايضا كيف تمكن من تجاوز المباشرة او التقليل من حديثها ليخرج بفلسفته الشعبية من دائرة البساطة والسطحية الى مساحة اكثر رحابة وعمقا ومتوسلين في ذلك بثلاث ابيات هي مطلع قصيدة (مطر) للشاعر (حسن عبدالله الشريفي) الذي اصنعه الفراق وتقطعت به السبل امام تحقيق رغبته في الوصال ولم يعد امامه الا التمني والتشوق:

مطر مطر والضيا بينه تدور مكنه
ياريت وانا سقيف
ياريتنا خدر بدوي كلهن يدخلنه
لما يروح الخريف
ياريتنا كوز بارد وحدثن بشرته
على شويه صعب

تكشف لنا الثلاثة ابيات عن شدة وجد الشاعر وانفعاله فقد جاء التمني متصدرا النص وليس كما تعودنا في غيره من النصوص التي تستخدم اسلوب التمني في وسط او نهاية النص الشعري فضلا عن ان التمني قد تكرر ثلاث مرات متتالية وهو ما يعكس ويوحى بشدة المعاناة ومدى توغل اليأس والضيق في اعماقه فالشاعر هنا يبدو اكثر انفعالا واكثر ضجرا وتبرعا من حاضره وايضا اكثر شوقا وتلفا لوصال محبوبه وبما يعنى احساسنا بذلك وتبرعا من التمني يبدو اكثر شعرية وفاعلية استخدامه للمفارقة الدلالية في توليد اماني غريبة تجعل المتلقي يبدو اكثر اندماشا وتأثرا فضلا عن كونها تعكس صدق التجربة وعمقها وتجليها للمفارقة الدلالية في تمني الشاعر بأن يكون (سقيف- خدر-كوز) وهي اشياء كما نعرف من الجمادات التي يصعب من خلالها الشاعر فاقدا لانسانيته للاحاسيسه وعواطفه التي من دونها لن يتمكن من التفاعل مع الوصال الذي يريجو ويسعى اليه وهي وان كانت تستدعي الحيرة في ظاهرها الا انها تعكس مدى مهارته الفنية ورفاهة احساسه كما انها تقصص عن مدى الانفعال الذي وصل اليه وعن مدى وطأة الفراق والواقع عليه.

ولايأتي التمني بمفارقاته الدلالية لكي يفصح لنا عن ذلك وحسب بل انه قد جاء باستخدامه المتميز من قبيل التحايل على تلك القيود والتقاليد الوافقة امام هدف وحلم الشاعر وعلى تلك العيون التي تترصدته وتقرض عليه حصارا يحول بينه وبين محبوباته (الضيا) وهو تحايل ناجح ينم عن عمق نظره وحضور وعيه من جهة وحده معاناته من جهة اخرى فحين يصبح (سقيف او كوز او خدر) فإنه سيتمكن من تحقيق رغبته في الوصال دون اعتراض من احد اذ من هو الذي سوف يعترض او يمانع دخول (الضيا) تلك الاماكن والشرب من الكوز فضلا عن ذلك فقد كان التحايل رائعا حيث تمكن الشاعر من خلاله الافصاح عن معركة تدور رحاها بين انا الشاعر والآخر المتمثل في العادات والتقاليد والناس الاخر الذي يحول بينه وبين محبوباته.

ربما لأن كل الطرق الموصله الى هدي وحلمي قد أصبحت موصدة أمامي او لأن الشعور بالعجز واليأس قد توغل في أعماقي واستقط زمام الحاضر والمستقبل من بين يدي وربما لحرضي الشديد على مواصلة الحياة ولو من طرف واحد او لقوة اجعلها تدفعني لذلك وربما لكل الاسباب مجتمعة اجدي مقلقا في سماء التمني والتشوق لذلك الحلم الذي افتقدته وذلك الهدف الذي تحول بييني وبينه مسافات طويلة وحواجز كبيرة مختزلا كل المسافات ومطمعا كل العوائق الوافقة أمامي الأمسى بيدي ذلك الهدف والنجم بذلك الحلم انسج عالمي خارج دائرة الزمان والواقع.

هكذا تعونت انا افعل وتعود الكثيرون مما اجأتهم مثل تلك الاسباب لذلك والشاعر قبل غيره من اكثر الناس امتهانا للطيران في سماء التمني وفضلهم استخداما للتمني كأداة تعبيرية ربما لكثرة اخفاقاته في الحياة وكثرة احلامه ورفاهة احساسه غالبا مايجد نفسه مرتعيا بين احضان التمني محاولا لتعبير عن مكونات نفسه وتقليص مساحة الحزن الممتدة بشراة في اعماقه حاضرا اولئك الشراء فاننا سنجدنا متعددة ومتنوعة غير أن اغلبها يعود لتمنياته وأبائته الشعرية اى صور حسية لها من القوة والحيوية ما يجعلنا نتماهى فيها دون اعتراض او ماطلة وبما يجعلها اقدر على الانتصاف في القلوب قبل الاذنان.

ويتمتع اسلوب التمني كأداة شعرية بحضور واسع وفاعل في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحتى زمننا غير انه يبدو اكثر حضورا وفاعلية عند شعراء الغزل والشعر الغنائي وبالأذات لدى اصحاب الاتجاه الوجداني او ما يطلق عليهم (الرومانسيين) ويعود ذلك ربما لرقه متناهم وشدة وجدهم وكثرة اخفاقاتهم في الوصول الى متيغاهم وبصورة اعم لانشغالهم بالواقع العاطفية وسيطرة عواطفهم على اشعارهم وفي اساليب التمني تعبير عن احساس الشاعر بالحسرة على حاضره الراهن وشوقه الى شيء ليس متحققا في هذا الحاضر واذما ما حاولنا البحث عن اسباب تلك الحسرة وعما كان يقفده حاضرا اولئك الشراء فاننا سنجدنا متعددة ومتنوعة غير أن اغلبها يعود لمعاناة الفراق واليأس من الوصال فقد كان ذلك ما هاجس معظم الشعراء فهذا عمر بن ابي ربيعة يقول على لسان احدي صواحبه:-

تقول إذا أيقنت في مفارقها
يا ليتني من قبل اليوم يا عمرا

انها تفضل الموت على ان لاتتعلم بالقرب من حبيبها وعلى نفس النوال وسعيها وراء الوصال الذي تقف الاعراف والتقاليد دون الحصول عليه ينشد كثير عزه.

الايبتنا يا عذ كنا لذي غنى
يعبرين نرعي في الخلاء ونغرب
كلانا به حر فريتا يفل
على حسنها جرياء تعدي واجرب

وفي ذلك تعبير عن مدى التحسر من هذا الحاضر المشوب بمعاناة الفراق فضلا عن كونه أداة يسعي من خلالها الشاعر الى تحطيم تلك القيود والثورة عليها او على الاقل التحايل عليها.

ويأتي التمني لغرض الهروب من الحاضر الأليم ذلك الحاضر الجاثم على صدر الشاعر فيحاول الشاعر من خلاله التخفيف من حدة الضجر والمعاناة والشور والاختلاف لديه كما بعد محال للبحث عن السعادة المقفودة وهنا يلجأ الشاعر الى اماني عديدة منها العودة الى الماضي والتشوق لتلك الايام الزاخرة بالطمأنينة والوصال:-

الا ليت اياما مضين تجود
فان عندي يوما انني لسعيد

وقد تكون العودة الى زمن ابعد وهو ما نجد لدى كثير من الشعراء الذين تمنوا وحسوا الى ايام الطفولة (فانطلقوا الى مراتح الطفولة يعيشون أحداثها ويجتثرون ذكرياتهم الجميلة بين ملاعبها ويفيضون في وصف صورها وجزئياتها ثم يقارنون بينها وبين حاضرمهم الاليم ويتمنون لو تطول بهم طفولتهم الى حياتهم الراهنة).

الايبت الضيا طالت
له في الدهر ازمان
وليت العمر تقطعة
ونحن لديه صبيان

ويشكل الموت عنصر مهم في ظاهره التمني حيث يأخذ مساحة كبيرة لدى كثير من الشعراء وقد كان الموت احدي الطرق للهروب من وطأة الواقع الام والحاضر ولقد كان وسيلة لجا إليها كثير من الشعراء الرومانسيين امثال (التيجاني) و ابو القاسم الشابي وماشم الرقاعي المازني) وغيرهم. ولا يقتصر استخدام اسلوب التمني والافادة منه على الشعر العربي بل انه قد تعدى ذلك الى شعرانا الشعبي الذي سعي هو الاخر للاستفادة من هذه التقنية الشعرية كما هو الشأن مع غيرها من الالات الشعرية الاخرى فكما تم استنساخ الجناس والمقابلة وكذا الاستعارة والتشبيه والكتابة والتورية وغير ذلك فقد عمد شاعرنا الشعبي الى توظيف التمني في التعبير عن انفعالاته واحاسيسه عن آماله وطموحاته واخفاقاته وبصورة مختلفة حتى ان اسلوب التمني عدا ظاهرة تستحق لدرس وتقنية فاعلة ومن يستقري العديد من القصاصات الشعبية يلاحظ حضورا مكنفا لهذه التقنية وبدرجة ملفته للنظر فضلا عن وجود براعة فنية لا تقل عنها في الشعر الفصح بل ان منها ما يوفق في شعريته كثير من النصوص الفصيحة والدوافع الوافقة خلف ذلك الحضور الواسع للتمني في شعرانا الشعبي لا تختلف عنها في الشعر العربي فلقد شكل الفراق والوصال الهاجس المهيم على كثير من تلك الاشعار فراح شاعرنا الشعبي يعبر عن تحسره من فراق حبيبته وطلبه للوصال:

يا ليتني فوق الجبل مكنيه
شناظر المحبوب بيا مدينة
من اين اجي لك يا حبيب منينا
كل الطرف تزربين علينا

وقد يأتي التمني كوسيلة للهروب من ألم الحاضر وعلان عن عدم القدرة على احتمال المعاناة.

السياسة والأدب العالمي

يردك الجميع أن كتابة الأوب(شعراً أو نثراً) إنما هي عمل إبداعي المبدع يمتلك إحساساً صادقا وقدرة على التعبير، وغاية كل أدبي أن تصعب أعماله مقروءة وتخطى بإعجاب القراء، إلا أن طموح كل أدبي يتفاوت من واحد لآخر فالبيض يكون طموحه متواضعا ويكتفي بأن تكون أعماله مقروءة على مستوى بلده والبلدان المجاورة بينما آخرون يلطمحون لأكثر من ذلك وهي العالمية وأن تندرج أعمالهم تحت ما يسمى بالآداب العالمي مجازا كل الحدود الجغرافية متخطيا حواجز اللغة لتنتشر أعماله على مستوى العالم ويحقق بذلك شهرة واسعة بغض النظر عن القومية أو الديانة التي ينتمي إليها الكاتب طالما أن كتاباته استطاعت تصوير البيئة البهية بعبرته وعبرته عن قضايا الناس. وعند الحديث عن العالمية في الأدب فإنه يتبادر للذهن أسماء عدة مثل شكسبير، تولستوي، فيكتور هيجو، غابرييل، غارسيا ماركيز، أرنتس همنجواي وكثيرون ممن عبرت كتاباتهم عن روح إنسانية صادقة ومرهفة في كافة أوضاعهم من حرب وسلم وحب وكراهية، ومع هذا ونحن نتحدث عن كل أولئك الأدباء العالميين علينا أن لا نغفل لبينا العربي الذي رحل عن عالمنا قبل عدة أشهر نجيب محفوظ ومدى الإقبال الذي تخطى به أعماله الأدبية سواء أكان في عالم العربي أم خارجه الأمر الذي يقودنا إلى نقطة هامة وهي أهمية الترجمة في نشر الأدب للتعريف على فكر الآخر فإللا الترجمة لما كنا قرأنا لشكسبير وهمنجواي وآخريين، ولولا أيضا ما عرف العالم أدب نجيب محفوظ. لذا فالسؤال الذي ينبغي أن يطرح نفسه بقوة هو ماذا لا توجد حركة ترجمة قوية في العالم العربي لأنه من المؤكد أن هناك أدباء تمتلك كتاباتهم خصائص ومقومات الأدب العالمي وفي ذات الوقت فإن ترجمة الأعمال الأدبية العربية التي تعبر عن البيئة العربية من شأنها أن تسهم في تغيير النظرة عن العرب بعد أن أصبح الإرهاب بكل أشكاله لصيفا بالعرب دون سواهم، في هذا السياق والأمر على هذه الشاكلة علينا أن نتعرف بأن المعايير التي كان يؤخذ بها في تقييم أعمال هذا الأدب أو ذاك وصولا للعالمية قد تغيرت كليا خاصة تجاه العرب وأصبحت السياسة تتحكم به، فأصبحنا نحن العرب مجرد متلقين لأعمال الغرب، وتبني كافة نظريات الأدبية حتى تلك التي لم يمر بها أدبا العربي، الأمر الذي يعني أن هناك سيطرة كاملة ومن كافة النواحي على كل مجريات حياتنا سواء كانت السياسية، الاقتصادية أو الثقافية التي يجب البعض تسميته بالغزو الثقافي الذي أثر على حياتنا الإبداعية.

أشمار هاشم

مذاهب

العارفون



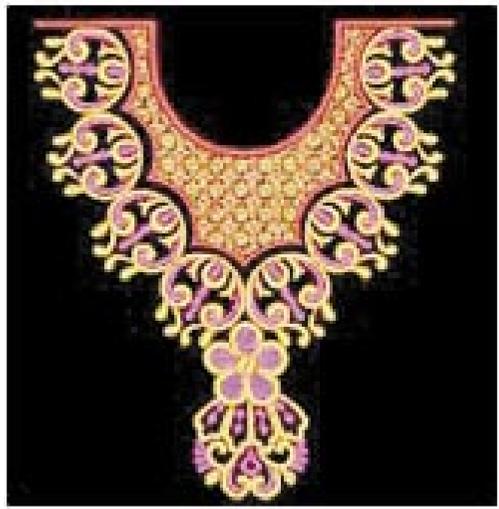
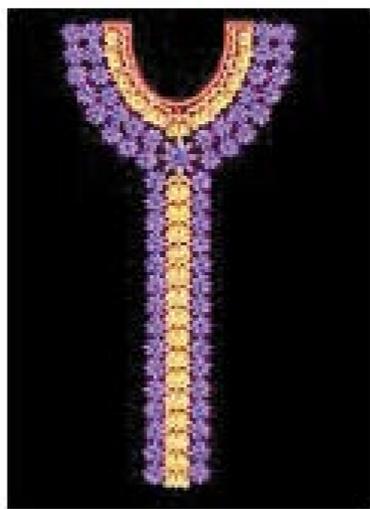
جلال احمد سعيد

يقطع الناشدون الحقيقة اشواط عرفانهم ،
المتلين البلوغ لنيل اليقين
يشدون امنلاك الحقيقة كلبية لمحبة للحق
كي يصحبوا العارفين
يذعون اليها بكل الشغف .. فالحقيقة مقصدهم،
وهم التائقون اليها هم الالوهون بها وهم العاشقون.
يبدؤون الرحال بتظهير ارواحهم والجسوم،
من الندس السرمدي الذي لازم الروح في الطين،
من مبدأ الخلق .. ان الطهارة شرع ودين،
انهم (الفناء) بحب الاله ، يرومون تخليص ارواحهم..
والنفسامي بها للمقام المكن
يأسنون لأخذ الخال من المصطفين
يرسمون الطريق الى ما نواوا بالفاؤاد،
يفيضون المدارج صوب الحقيقة،
يسلكون الدروب اليها وهم موقنين بعسر الوصول اليها ..
ولكنهم ينزرون لها كل طاقتهم واهبين.
يصعدون المدارج صوب الحقيقة،
ممتلئين باصرارهم واليقين
يعتلون المصافات بالزهد والجهد،
والارتياح على كل حال- كما يزعمون-
انهم من اطاعوا سجاياهم مخلصين
هكذا يفعلون فلا يباهون بمن يشجبون ومن ينفقون،
ومن ينكرون ومن يهزأون فلا يأخذون
من الراي غير الذي يعثرون عليه وجيبا يرج الفاؤاد
براعة حينما يلهون.
يحققون اذا ما المعاري فاضت عليهم بأنوارها،
ويعرفانهم يسكرون يصيرون في غيبة
عن جميع الخلائق في العالمين.
حينها .. يبلغون صفوة الشهود،
يكونون من صفوة الكاسيين
فاذا هم افاقون من الغيبة المشتهاة وعادوا بعرفانهم غانمين
انطوا معرضين عن الغير مستصعبين.
شأنهم ان نور الحقيقة يسكنهم ويسلطانها يؤمرون.
انهم وحدهم من رأى الحق بالقلب لا بالبحي،
فالحجي عندهم باعث للظنون.
ذاك عرفانهم والطرائق ملك (الخواص) من السالكين
الى الحق، لا حق فيها لمن بالحي يسلكون.
انهم قلما ينظرون الى الظاهرات باسبابها،
او بواعتها، او بماجد فيها، وما زال عنها .. وماقد يكون
انما يقرأون بواطنها بتأولها كيفما يشهون.
انهم بالمعارف وهي التي تتأتى لهم باللدن الشفيف،
وبالكشف يستكثرون الغياهب حتى يرون الحقيقة
كلية في مقام الفتوح كراي العيون.
ليس للعارفين نظيرا بما يلهون وما يشهدون،
وما يكشفون وما يعرفون فهم صفوة (الاصفياء)
وهم خاصة (الخصفاء) من الموقتين.
هم يحيطون بالسر رؤيا الحقيقة،
يقفونها بين خاصتهم مؤثرين.
ان جوهرها سرهم ليس يوتي لأغاييرهم،
فيهم الحافظون له وهم المدركون بما يحفظون لكل الشؤون
عبئا تسألون على ما ادعوا او تحاجونهم في الذي يعرفون،
فلن تقلحوا ان تحاجوا الاحاجي التي يطلقون.
ان شرط الحجي ان تخوضوا التجارب
كي تتبوا بالبراهين ماتعلمون
ان عرفانهم فوقما تتبئنون
فاضربوا الصلح عما أوا، ليس يجدي تقصي رؤى العارمين.
واتركوهم بعرفانهم يتعنون.

الهوامش:

- ١-الرؤية الرومانسية للمصير الانساني لدى الشاعر العربي الحديث - د / شوقي صيف-ص٤٩٩.
- ٢-الادب الاسلامي-د/ شوقي صيف ص٣٥٩.
- ٣-كتاب الاغاني- أبو الفرج الأصبهاني-ص٤٢٨٢ج-١٢.
- ٤-الادب الاسلامي ص٣٦٦.
- ٥-الرؤية الرومانسية ص٢١٢.
- ٦-ص٢٠٢.
- ٧-صحيفة الثقافية العدد ٢٠١ص١٧.
- ٨-ديوان (الوان من زهور الحب والين)ص١١٥.

أسرار الرسومات التطريزية الفلسطينية



حافظت الفنانة الفلسطينية على وضع إضافات لرسوم تطريزية تحمل معاني ودلالات هامة عن القضية الفلسطينية، من المرحلة الثانية والممتدة من 1948 إلى 1965م فحسب المزين لم يشهد الثوب أي إضافة في الوحدات المطرزة فقط انصب جهد المرأة الفلسطينية في هذه المرحلة على الحفاظ على التراث قدر المستطاع في ظل عمليات النهب والتموير والسرقة التي اتبعتها قوات الاحتلال الإسرائيلي طمعا في الاستيلاء على الارض والتاريخ والشقفة للحضارة ونسبها لها دون أي وجه حق.

أما المرحلة الثالثة والتي تمثلت في الفترة ما بين 1967 - 1994م فكان الاحتلال الذي نهب التراث الفلسطيني الذي ظلوا محافظين عليه في متحف القدس الوحيد وكان ذلك في بداية عام 67م ففصاع الفن التطبيق الوحيد الذي يبرهن على الهوية الفلسطينية زيادة نسبة التعليم في الأراضي الفلسطينية حيث انصرفت النسوة إلى التعليم وأهملت العمل بالتطريز لدرجة أن بعضهم بالغوا بالنظر لربه على أنه متخلف يجب التخلص من تبعاته وموكلبة العيب لكنهم في ذلك حققوا رغبة الصهيانية في قتل التراث الفلسطيني ويتابع معظم دول العالم العربي بقميت متمسكة بالتراث الأصيل الخاص بها.

بها الثوب الفلسطيني وكل مرحلة اضافت جيودا للثوب، وكانت معبرة تماما عن المرحلة التاريخية التي تمر بها البلاد، ففي المرحلة الأولى التي امتدت من 1963م - 1948م انشغلت الفنانة الفلسطينية كما يحلو للزميين أن يلقبها في اضافة كل ما هو جديد للثوب الفلسطيني من وحدات هندسية واشكال زخرفية كل ماتلد عليه هو حال الأرض للشوب، وكانت تحاكي تنسج خيوطها الحبرية لتكون اشكالا وعروقا وزينت الثوب بألوانها المتناغمة المنسجمة فاضافت عرق السلكيك والفشك بالاضافة إلى وحدات زخرفية رمزية تجريدية، تمثل الناثر الفلسطيني ومقاومته في تلك الفترة فايدعت الفنانة الفلسطينية عرق الطير والحمام الذي رمز للطير الاوائل التي كانت تصل إلى القبيارات الثورية في الجبل، ويضيف أيضا نسجوا بخيوطهم عرق قاع الفحجان الذي دل وقتها على قبائل الميزل البدوية التي كان يستخدمها الثوار الفلسطينيون في مقاومتهم ضد الاحتلال الصهيوني، وكما ادعوا عرق حيفا ويافا الذي دل وقتها على الطريق التي كان يسلكها المقاومون الذين يقربون اليهود المهاجرين إلى فلسطين بالاضافة إلى رمزها إلى طريق السكة الحديد التي يمول من خلال البريطانيين بالاسلحة والعتاد العسكرية، ناهيك عن عرق الجبل الذي يرمز إلى مقل الثوار الذين يهاجمون

إعداد/ ايضاق سلطان

ارتقت المرأة الفلسطينية أو الفنانة الفلسطينية الشعبية التي امتهنت أو مارست التطريز الفلاحي كمهوية بشوب المرأة الفلسطينية المطرز إلى اقصى الحدود.

كما حرصت هذه الفنانة على إبهار كل العيون التي رأت تناسق فيها وألوانها سواء في اللبس أو الثريات، سجلت في هذا التراث الحرفي لغواميس كي تفسر معانيها وأهدافها من وراء كل رسم وضعت على قماش الثوب، ولم يعلم الكثير أن هذه الفنانة مارست شيئا عبثا، حيث حرصت بالدرجة الأولى أن تكون معاني رموزها التطريزية سجل لأحداث الثورة الفلسطينية وتحريض على مقاومة المحتل الصهيوني، فرسنت رموزها في الحرب والسلام والحب والأمل والألم والرضا والتحرير على الجهاد.

بيدا الأيمن العام لاتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين الدكتور/ عبدالرحمن المزين حديثه معنا بعرض أبحاثه العلمية التي تؤكد بالتأكيد على أن المرأة الفلسطينية التي عشقت التطريز اضافة له الكثير وباستمرار ويستكمل المزين وهو الحريص على الوبح بأصالة الزي الشعبي الفلسطيني وتاريخه المجد يوضح أن هناك مراحل عدة من

النكتية وما تلاها
في المرحلة الأولى لتاريخ التطريز